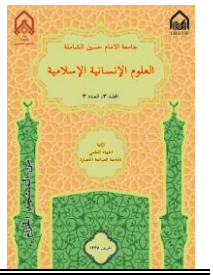

جامعة الإمام الحسين العلوم الإنسانية الإسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة

IHUIH

دراسة موضوعية للعلاقة بين القوانين الكونية والقوانين الإلهية

م. د. حميد زاهد[1]

الوسطية، السنن الكونية، المشيئة الإلهية.

الملخّص

إن خاصية العدل الإلهي تتضمن الوسطية والتوازن، فقد من الله علينا أن جعلنا أمة وسطا بين الأمم, قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} (البقرة ١٤٣), فالوسطية من أهم سمات هذه الأمة، ولا غرابة في ذلك كون هذا التشريع صادر عن الله عز وجل, وما صدر عنه تعالى فهو كامل شامل متوازن, سابق لكل الدساتير التي وضعها البشر, قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء/٨٣), وقد شملت الوسطية الأحكام كافة. العقائدية والعملية والأخلاقية، ومن تلك المفاهيم الوسطية بين الاعتماد على السنن الكونية وبين طلاقة المشيئة الإلهية.

معلومات المقالة

جامعة الإمام الحسين

العلوم الإنسانية الإسلامية

المجلد ٣، العدد ٣ (١٤٤٧)، ١٨-١٥

تاريخ الإرسال: ٧ ربيع الاول ١٤٤٧

تاريخ القبول: ١٩ جمادى الاول ١٤٤٧

تاريخ النشر: ٢٩ جمادى الثانيه ١٤٤٧

مراجع: ٧

مراسلة: dr.h.zahed68@gmail.com

[1] أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، جامعة بغداد.

١– المدخل

أحببت أن أقف في هذا المقال على موضوع مهم وهو التوسط بين العمل بالسنن الكونية والإيمان بتدخل المشيئة الإلهية, فإنها من الأمور المهمة في حياة الإنسان أن يتوازن في أفعاله ومعتقداته, فإن الله سبحانه وتعالى سنن لا تتبدل ولا تتغير وأن الإلمام بخاصية العدل والتوازن والوسطية في أحكام الله عز وجل تبعث الطمأنينة والثبات في نفسية الإنسان وشخصيته وأفعاله، وخاصة إذا نظرنا إلى المناهج البشرية المضطربة, فقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} (البقرة/١٤٣), أي : " عدلا وخيارا, وما عدا الوسط فأطراف داخل تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين"(تفسير النكت والعيون للماوردي، ج١، ص١٩٩).

الوسطية هى "التوازن والعدل والقيام بالحق والبينية بين الإفراط والتفريط". السنن الكونية هى سنن الله وقوانينه ونواميسه التي يدبر على مقتضاها الكون والحياة (السنن الإلهية في السيرة النبوية، ص٤٦)، كما قال تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} (يس/٤٠)، فهي الطبيعة الكونية العامة، كون الثلج بارد والنار محرقة. المشيئة الإلهية هى تجلي الذات والعناية السابقة لإيجاد المعدوم أو إعدام الموجود الاسلامية (حركة التاريخ في القرآن الكريم، ص٢٢٦).

فالتوسط يتحقق بكل الأبعاد، فهو بمعنى الاعتدال والقصد، أو بمعناه المادي الحسي أو التصور والاعتقاد, فلا غلو في التجرد الروحي, ولا الارتكاس المادي, إنما تمازج وتداخل وتوافق الروح مع الجسد (تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي، ج١، ص٧٠), وتعطى لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل, فللجسد زاد وللروح زاد, وبهذا التوافق تستقيم حياة البشر وترتقي وتتناسق, قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)"(البخاري في صحيحه، ج١، ص١٦). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه, قال: "(جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا ، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) , ومن صور التوازن بين الاعتماد على السنن الكونية وبين طلاقة المشيئة الإلهية, فكان الناس في ذلك طرفان ووسط التوازن (٤)"

٢– القوانين الكونية

من قصر نظره على ثبات السنن الكونية، وهي النواميس الحاكمة في الطبيعة وفي العالم المادي وفي نظام سال وقال تعالى الكون, قال تعالى : { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} : (الفرقان (٢), وقال تعالى: { وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ} (يس/٢٧) ، واعتمد على ذلك اعتمادا نماذا كليا دون أن ينظر إلى المشيئة الإلهية وغفل عن أ أن الله سبحانه وتعالى الذي ثبت هذه السنن وجعلها مطردة حاسمة قادر متى يشاء كيف يشاء أن يخرق هذه السنن؛ لأنه فعال لما يريد والقادر على كل شيء وهذا الطرف مثل من أفرط في فعل الأسباب وتعلق بها؛ لكن الأسباب موقوفة على تحقق الشروط وانتفاء الموانع وهذا يقتضي تدخل المشيئة الإلهية، فتوفير كل أسباب الزراعة وتحقيق الشروط لابد له من انتفاء الموانع لكي ينبت الزرع، فغرس البذرة سببا

وسقي الماء شرطا وكثرة المطر مثلا قد يمنع من إنبات الزرع، وهذه هي المشيئة الإلهية قال تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ } (الواقعة (٦٣)، وقال تعالى: {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} (النمل/ ٦٠).

٣- القوانين الإلهية

من نظر الى طلاقة المشية الإلهية ولم يعتبر بثبات السنن الكونية وترتب النتائج على الأسباب فأفرط في نظرته لطلاقة المشية الإلهية مما جعله يفرط في عدم الأخذ بالأسباب والانتفاع من السنن الكونية، بل اعتمد على الخوارق دون أن يبذل الجهد والعمل، زاعما أنه متوكل على الله تعالى, قال تعالى: { فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} (الأنفال/٦٩), وقال تعالى: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك /١٥)، وقال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (الأنفال/٦٠)، قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قال: "اعقلها وتوكل" (البخاري في صحيحه، ج٢، ص٧)، وأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ» (ابن حبان في صحيحه، ج٢، ص٥١٠).

٤- الوسط بين الأمرين

هو النظر إلى ثبات السنن الكونية والعمل تحت ظلها وبذل الأسباب الممكنة دون التعلق بها وبكونها لا تنخرق أبدا, بل الإيمان بأن الله عز وجل يخرقها متى يشاء لمن يريد ممن بذل الأسباب والجهد واستنفذ ما في وسعه من العمل والجهد والجهاد كما هي حال النبي صلى الله عليه وآله ومن معه من صحبه الكرام حيث بذلوا، حال النبي صلى الله عليه وآله ومن الجهد والعمل في سبيل الله عز وجل واستحقوا أن ينصرهم الله عز وجل بجند من عنده ويخرق لهم من السنن الثابتة ما يظن الناس أنها لا تنخرق, قال . ال تعالى: { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (الأنفال ٩), فقد ذكر القرآن الكريم في مواضع عديدة أن الله عز وجل له سنن ثابتة لا تتبدل ولا تتحول، وهي قوانين تضبط حركات الناس وأعمالهم ويكيفون حياتهم وفقها, قال تعالى: { فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا } (فاطر/٤٣)، وفي مواطن أخرى من القرآن يذكر الله سبحانه إنه فعال لما يريد وإنه متى شاء خرق هذه السنة لمن شاء من عباده كما في قوله تعالى : { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (النحل (٤٠), وقال تعال: { بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (البقر / ١١٧), وقال تعالى: { قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ }(آل عمران/ ٤٠) وقوله تعالى: { قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (آل عمران/ ٤٠), وقوله تعالى: { قَالُوا حَرِّقُوه وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} (الأنبياء/٦٨), وغيرها من الآيات التي تقرر نفوذ مشيئة الله عز وجل وعدم تقييدها بقيد (من السنن الكونية مما يحسبه الناس قانون لازما لا فكاك منه, لأن من وضع السنن الكونية قادر على خرقها (رواه البخاري، ج٢، ص١٢٣).

٥- المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- النكت والعيون لعلي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، نشره: دارالكتب العلمية ، لبنان ، ط/١.

٣- تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي (٢٠٠م)، نشره: مؤسسة الرسالة ط/١.

٤- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري (١٤٢٢هـ)، نشره: دار طوق النجاة، ط /١.

٥- صحيح ابن حبان لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي (ت: ٣٥٤هـ)، نشره: مؤسسة الرسالة ، لبنان ط/٢.

٦- السنن الإلهية في السيرة النبوية للدكتور أبو اليسر رشيد كهوس (١٩٩٣م)، نشره :دار الكتب العلمية بيروت، ط/١.

٧- حركة التاريخ في القرآن الكريم لعامر الكفيشي (١٤٢٨هـ) نشره: دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ط/١.